

المجلد: 07 / العدد: 01 / جوان (2023)، ص. 513/504

جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي من منظور المحققين العرب (Orientalists' efforts in revising the Arab heritage according to the Arab revisors' perspective)

دليلة لخضاري

Dalila.lakhdari@univ-dbkm.dz

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2023/06/02

تاريخ القبول: 2023/04/14

تاريخ الاستلام: 2022/10/16

ملخص:

تركز في هذا المقال على البحث في موضوع الاستشراق الذي كثر حوله الجدل من حيث مفهومه ودوافعه وغاياته من دراسة التراث العربي الذي جمعه في خزائهم بمختلف الطرق المشروعة وغير المشروعة، ثم عكفوا على فهرسته وتحقيق عيونه ونشرها، مع تحديد أصنافهم فمنهم من خان الأمانة العلمية وسعى إلى تحقيق أغراضه الدينية والتبشيرية، ومنهم من لم يملك ناصية اللغة العربية فجاء تحقيقه يشوبه العيب والنقصان، ومنهم من حرص على تحزّي الموضوعية في تحقيقاته، ثم نبّين وجهة نظر المحققين العرب وتقييمهم لهذه الجهود ومدى قبولهم لإسهامات المستشرقين في خدمة التراث العربي وما أخذهم عليه.

كلمات مفتاحية: الاستشراق، التحقيق، التراث العربي، المخطوطات، النشر.

Abstract:

This article focuses on the topic of orientalism, which becomes controversial in terms of concept, motivations and its objective from studying the Arab heritage. The orientalists gathered it in their box in various legitimate and illegitimate ways. Then, they indexed it, revised its faults and published it. Among those orientalists, there're those who betrayed the scientific integrity and looked for achieving their religious and missionary objectives, and there're those who aren't eloquent in Arabic, so their revisions were faulty. There're also those who are diligent and objective in their revisions. The Arab revisors' perspective, their evaluation to the orientalists' efforts and the extent they accept their contributions in serving the Arab heritage and what they took from them have been demonstrated.

Key words: orientalism, revision, the Arab heritage, manuscripts, Publishing.

مقدمة:

لقد ترك علماءنا تراثا فكريا ضخما في شتى العلوم ينم عن حضارة مزدهرة، وأولوا عناية بالغة بالكتاب المخطوط وسعوا للحفاظ عليه حتى يرثه أبناء العربية جيلا عن جيل، وينهلوا من علمه ويواصلوا درب التقدم العلمي والحضاري، ولكن مع مرور الزمن وتخاذل العرب واستهانتهم بإرثهم وجد الأجانب فرصة لاستغلال الوضع لوعيمهم التام بقيمة هذه المخطوطات، والتي كانت أساس خروجهم من ظلمات الجهل والتخلف الفكري والحضاري الذي كانت تسج فيه أوروبا في القرون الوسطى، فشنوا الحروب الصليبية واستولوا في بداية الأمر على المخطوطات عنوة فأخذوا منها ما شاء لهم أن يأخذوا وأتلفوا منها ما أتلفوا، وتحصلوا على الباقي عن طريق الشراء والإهداءات فتسنى

لهم أن يجمعوا من نواذر المخطوطات ما لا يعد ولا يحصى، ثم عكفوا على هذا التراث يتدارسونه وينهلون منه دون كلل أو ملل، ووجدوا التدعيمات اللازمة من دولهم التي سخرت لهم كل الوسائل المادية لأجل تحقيق أغراضهم الاستشرقية، ومن هنا نتساءل: هل قدّم هؤلاء خدمة فعلية للتراث العربي؟ وما مدى التزامهم بقواعد النزاهة العلمية، وما دوافعهم وراء الاهتمام بجمع التراث العربي وتحقيقه ونشره؟ وكيف قيم العرب هذه الأعمال؟ ونهدف من خلال هذه الورقة البحثية التي اعتمدنا فيها على المنهج الوصفي التحليلي إلى الكشف عن جهود المستشرقين في خدمة التراث العربي ومالهم من إيجابيات وما عليهم من مثالب، ومدى نزاهتهم في تحقيق المخطوطات، ولا يخفى أن بعضهم حاول قدر الإمكان التزام العلمية والموضوعية، لكن هناك فئة أخرى غلبتها النزعة الصليبية فجاء عملها مليئاً بالدسائس مشحوناً بالأباطيل عن الإسلام والمسلمين.

1- تعريف التحقيق:

1-1 لغة: جاء في مختار الصحاح: " (الْحَقُّ) ضِدُّ الْبَاطِلِ، ... وَالْجَمْعُ (حَقَاقٌ) ثُمَّ (حَقَقْتُ) بِصَمْتَيْنِ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتِبَ ...، وَ (حَاقَهُ) خَاصَمَهُ وَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْحَقَّ فَإِذَا غَلِبَهُ قِيلَ (حَقَّهُ)، ... وَ (حَقَّ) الْأَمْرُ مِنْ بَابٍ رَدٍّ أَيْضًا، وَ (أَحَقَّهُ)؛ أَيْ تَحَقَّقَهُ وَصَارَ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ، وَيُقَالُ: (حَقَّ) لَكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا، وَحَقِيقَتْ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا بِمَعْنَى، وَحَقَّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَهُوَ (حَقِيقٌ) بِهِ وَ (مَحْقُوقٌ) بِهِ؛ أَيْ خَلِيقٌ بِهِ وَالْجَمْعُ (أَحْقَاءُ) وَ (مَحْقُوقُونَ)، ... وَ (تَحَقَّقَ) عِنْدَهُ الْخَبَرُ صَحَّ وَ (حَقَّقَ) قَوْلَهُ وَطَأَهُ (تَحْقِيقًا)؛ أَيْ صَدَّقَهُ، وَكَلَامٌ (مُحَقَّقٌ) أَيْ رَصِينٌ"¹.

وكلمة "تحقيق" حسب عبد الهادي الفضلي هي ترجمة لكلمة: "critique" الفرنسية، وكلمة: "criticism" الإنجليزية ومعناها الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصدرها وصحة نصّها وصفاتها وتاريخها²

2-1 اصطلاحاً: يعرفه عبد السلام هارون بقوله: " هذا هو الاصطلاح المعاصر الذي يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة، فالكتاب المحقق هو الذي صحّ عنوانه واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان منه أقرب من الصورة التي تركها مؤلفه"³

ويعرفه عبد المجيد دياب بقوله: "هو عملية مركبة تقتضي إخراج نص مضبوط يكون على الصورة التي قاله عليها صاحبه، أو أقرب ما يكون إلى ذلك على الأقل"⁴.

فهذان التعريفان اتفقا على ضرورة الحفاظ على النص كما تركه صاحبه قدر الإمكان، وينبغي على المحقق أن يراعي شروط التحقيق وقواعده المتعارف عليها في ميدان تحقيق المخطوطات.

وشدّد محمد أحمد الخراط بعد أن عرض تعريفات بعض العلماء للتحقيق، ويتبنّ قصور بعضها عن الشمولية على أن مصطلح التحقيق يجب أن يغطّي جانبين:

الجانب الأول: تحرير النص من حيث تقديمه كما يريد مؤلفه من دون تحسين أو تعديل مع إثبات الاختلافات بين النسخ، ثم ضبط النص على حسب الحاجة التي يقرّرها المحقق، مع وضع علامات الترقيم المناسبة. والجانب الثاني: خدمة النص، وتشمل:

-تخريج نصوصه ما أمكن

-شرح غامضه شرحاً موجزاً.

-تقديم النص عن طريق بيان اسم مؤلفه، وصحة نسبة الكتاب إليه، وعدد نسخه، وأهميته، وتوضيح منهجه.

-فهرسته⁵.

وقد جاء تعريفه شاملاً لعناصر وخطوات التحقيق التي ينبغي على المحقق أن يسلكها، فبدأ بقسم التحقيق وما يتطلبه من نسخ للنص وبيان للفروقات بين النسخ، وتخريج وضبط، وتعليق وغيرها ثم قسم الدراسة الذي يخصه المحقق للتعريف بمؤلف المخطوط وعصره ومنهجه، ويصف نسخ المخطوط وأماكن عثوره عليها، وصحة نسبتها إلى صاحبها، وقيمتها العلمية ثم يختم عمله بقسم للفهراس الفنية اللازمة كفهرس الآيات والأحاديث والأشعار، والأعلام والأماكن ...

2- مفهوم الاستشراق ونشأته ودوافعه وأصناف المستشرقين:

قبل أن نخوض في هذه المسألة وجب التنبيه إلى وجود اختلاف بين الباحثين في تحديد مفهوم الاستشراق، ولهذا سنحاول التركيز على التعريفات الجامعة التي استقر عليها الرأي؛ لأن المقام لا يسع لذكر تفاصيل الاختلاف

التي ستكون هنا من قبيل الحشو الذي لا طائل منه، ثم نتحدث بإيجاز عن نشأة الاستشراق ونحدد دوافعه الحقيقية وراء الاهتمام بالتراث العربي، و انطلاقاً من تلك الدوافع يظهر لنا أصناف من المستشرقين سنذكرهم في محلهم.

1-2 مفهوم الاستشراق:

1-1-2 لغة: جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: استشرق يستشرق، استشرقاً، فهو مُستشرق، واستشرق الأوربي: اهتم بالشرق والدراسات الشرقية"، ومُستشرق: اسم فاعل من استشرق. والاستشراق: مصدر "استشرق" وهو عناية واهتمام بشؤون الشرق وثقافته ولغاته، وهو أيضاً أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه⁶.

فالاستشراق يدور معناه اللغوي حول اهتمام الأوربيين بالدراسات الشرقية، وهذا المعنى يتقاطع مع التعريف الاصطلاحي.

2-1-2 اصطلاحاً: عرّفه عبد المجيد دياب بقوله: " هو تخصيص علماء غربيين في الدراسات الشرقية على اختلاف مجالها."⁷

فالمستشرق بهذا المفهوم إنسان غربي كرس نفسه لدراسة التراث العربي على تنوعه وتشعب علومه. والاستشراق "orientalisme" هو "اهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية، ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم⁸

والمستشرقون: "جماعة من علماء الغرب —جمهورهم من الزهبان- التفتوا النشأة جادة إلى تراث العرب، وقد عرفوه من عرب الأندلس، ومصر، والشام، وأكوا عليه يفاتشونه ويتدارسونه، وكان اهتمامهم في أول الأمر مصروفاً إلى علوم الحكمة والفلسفة، والجبر والحساب، والفلك والأسطرلاب، والطب والكيمياء، والبصريات، ثم أفضى بهم ذلك إلى فروع التراث العربي الأخرى"⁹.

فالاستشراق انطلاقاً من هذه التعاريف هو اهتمام العلماء الغربيين بالتراث العربي المخطوط باختلاف ميادينه وتخصصاته جمعاً وفهرسة وتحقيقاً ودراسة.

2-2 نشأة الاستشراق ودوافعه: كما اختلف الباحثون المتابعون لظاهرة الاستشراق في تحديد مفهومه اختلفوا أيضاً حول نشأته ودوافعه وتباينت وجهات نظرهم في ذلك والدليل على ذلك هو الآراء الآتي ذكرها.

1-2-2 نشأة الاستشراق:

اختلف الباحثون في تحديد البداية الفعلية للاستشراق، فالسباعي يقول: لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أنّ بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتعلموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة الفلسفة والطب والرياضيات زمن أوائل هؤلاء الرهبان: الزاهد الفرنسي جريتر، جبراردي كريمون...¹⁰

ويرى عبد المجيد دياب أن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن الثاني عشر، ففي عام 1143م، تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية، وكان ذلك على أرض الأندلس، وفي هذا القرن أيضاً ظهر أول قاموس لاتيني عربي، وفي القرن الثالث عشر، والزابع عشر بذل رايمو ندوس لالوس جهوداً كبيرة لإنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية وكان قد تعلم العربية، وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك القرن والقرون التالية هو التبشير، وإقناع المسلمين بطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي¹¹

ويرى النبهان: أن حركة الاستشراق كظاهرة ثقافية نشأت في أعقاب ذلك الصدام العنيف بين الحضارة الإسلامية التي بسطت سلطانها في جزء كبير من آسية وإفريقيا وامتدت إلى جنوب أوروبا و الحضارة الغربية المسيحية المترنحة المتخاذلة...ولما أصاب الحضارة الإسلامية الركود والتوقف واضطربت أوضاع المسلمين، وتمزقت دولهم... انطلقت الحملات الصليبية مدعومة بتحالف مقدس بين الكنيسة والملوك الأوربيين، واستطاعت أن تحكم قبضتها على جزء من العالم الإسلامي¹²

فالبداية الفعلية للاستشراق بقيت محل خلاف بين الباحثين، لكن المتفق عليه أنها تبقى ظاهرة نتجت عن تصادم بين حضارتين مختلفتين؛ حضارة إسلامية عريقة بسطت سلطانها في شتى بقاع العالم، وحضارة غربية أربעה هذا التفوذ فسعت إلى قمعه.

2-2-2 دوافع الاستشراق:

تعددت دوافع الاستشراق ويمكن حصرها في العناصر الآتية:

-الدافع الدّيني: ولا يخفى عداء هؤلاء المستشرقين للدّين الإسلامي، وسعيهم بشتى الطرق للحدّ من انتشاره، ومحاولة إخراج المسلمين من دينهم وتشكيكهم فيه واقناعهم بالتّصريّة، خاصّة أن بداية الاستشراق كانت على يد الرهبان تحت "رعاية الكنيسة الكاثوليكية وخضعت لإشراف مباشر من كبار أبحارها ... والمستشرقون في غالبيتهم يهود أو مسيحيون أو ملحدون"¹³

يقول السباعي: "لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لتتعرّف إلى الدافع الأوّل للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الدّيني، فقد بدأ بالرهبان، واستمر حتى عصرنا الحاضر، وهؤلاء كان همّهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوّهوا محاسنه ويحزّفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدّينية أنّ الإسلام -وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين- دين لا يستحق الانتشار وأنّ المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء... وهنالك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام .. لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث الإسلامي وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث"¹⁴.

فالدّافع الأساسي لبداية الاستشراق كان دينيا محضا غرضه كبح جماح الحضارة الإسلامية وتطويقها باعتبارها العدو الأوّل المهدد لكيان المسيحية، ولهذا سخروا كل الوسائل لبث الشكوك في نفوس المسلمين بغية إخراجهم منه -إن استطاعوا- وإضعاف شوكتهم تمهيدا لاستعمارهم.

-الدافع السياسي

يعدّ من أهم دوافع الاستشراق من أجل السيطرة على البلاد الإسلامية "فلما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين، وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية لم يئأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام، فاتّجهوا لدراسة هذه البلاد في كلّ شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ولغات وتاريخ وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان بغية أن يتعرّفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تمّ لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية... وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا... وبذلك يتمّ لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم..."¹⁵

وقد ذكر السّعدي أنّ " الاستشراق خدم الاستعمار قبل دخوله بلاد المسلمين وأثناء دخوله وبعد خروجه"¹⁶ وفي هذا دليل على أطماع الأوربيين ونزعتهم الاستعمارية الساعية إلى السيطرة وبسط التفوذ وتوسيع الرقعة الجغرافية واستغلال خيرات بلاد المسلمين.

- الدافع التجاري والاقتصادي: لا يخفى على أحد سعي هؤلاء الغربيين لنهب ثروات وخيرات بلاد المسلمين، ورغبتهم إيجاد أسواق بديلة يعيشون بها تجارتهم "فمصانهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنّهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي؛ ولذلك فإنّ بعض أشهر البنوك الغربية تصدر تقارير شهرية هي في ظاهرها تقارير اقتصادية، ولكنها في حقيقتها دراسات استشرافية متكاملة حيث يقدّم التقرير دراسة عن الأحوال الدّينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرّف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي"¹⁷

ويقول السباعي: " ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطّبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية..."¹⁸

ومعروف أن البلاد العربية والإسلامية غنية بالثروات الطبيعية ما جعلها تفتح شهية الغرب للسطو عليها بغية الانتفاع بموادها الخام التي تفتقر إليها أوروبا، كما وجدت في بلادنا سوقا سهلة تروج فيها فائض بضائعها بعد أن عملت على قتل صناعتنا المحلية لتحكّر منتجاتها أسواقنا.

- الدافع العلمي: وينحصر في اتجاهين:

● **اتجاه دافعه علمي نزيه:** ويمثله فئة قليلة من المستشرقين الذين أقبلوا على الدراسات الاستشرافية بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم، وأديانها وثقافتها ولغاتها، وكان هؤلاء أقل خطأ من غيرهم في فهم الإسلام وتراثه، فلم يتعمدوا التحريف والدسائس فجاءت أبحاثهم علمية خالصة، كالمستشرق كارلايل، و يوهان رايسكه.

● **اتجاه أعوزته النزاهة العلمية:** ويمثله جمهرة المستشرقين الساعين إلى تحقيق أهدافهم التبشيرية والاستعمارية، وقد تميزت دراساتهم بالتعصب والتدّ الجائر الطعن في الإسلام وطمس كلّ معالم الخير والفضيلة في تاريخ المسلمين، مع تبجحهم وزعمهم أنّهم أصحاب منهج علمي سليم، وأنّ دافعهم علمي نزيه¹⁹ والدافع العلمي هذا جاء متأخرا جدا بعد أن تضاءلت الحركة الاستعمارية وانكمشت الدوافع الدينية في منتصف القرن التاسع عشر، واتّجه المستشرقون لنقل صورة موضوعية عن الشرق بعد أن اعترفوا بكيانه وخصوصيته، فأصبح الاستشراق علما قائما على النقد ومحاولة فهم ثقافة الآخر وحضارته، ولا يعني هذا تبرئة بعضهم من آثار التعصب والتحيز.

3-2 أصناف المستشرقين:

أفرد عبد المجيد دياب فصلا كاملا عن المستشرقين وقسمهم إلى ثلاثة أصناف:

- صنف لم يملك ناصية اللغة العربية وركّز اهتمامه بالجانب الشكلي، فجاء تحقيقه هزليا ناقصا وفيه أخطاء كثيرة بحكم عدم فهمه للنصوص فهما صحيحا.

- صنف تميّز بالتعصب لدينه وسعى لتحقيق أغراضه التبشيرية والسياسية، فخان الأمانة وجانب الموضوعية، ووجه الحقائق وفسرها بما يخدم غايته، وطعن التراث العربي عامة والإسلام خاصة، وهذا الصنف جعل بعض العلماء العرب يرتابون من جميع المستشرقين ويشككون في نزاهة أعمالهم.

- صنف تحرّر من عصبية وتحيّزه فأخلص جهوده لخدمة العلم لذاته خدمة علمية موضوعية، وسخر جهوده لتعلم العربية والتمكن منها وفهم نصوصها فهما صحيحا، ومن ثمّ تحقيقها فجاءت أعمالهم نافعة جدية بالاهتمام²⁰.

3 - **جهود المستشرقين في خدمة التراث العربي:** ونعالج هذه القضية من خلال ثلاثة عناصر أساسية يرتبط بعضها بعض ولا غنى عنها لكل باحث في التراث المخطوط وهي الجمع والفهرسة والنشر.

1-3 من حيث الجمع:

اهتم المستشرقون بجمع المخطوطات العربية بكل الطرق التي أتاحت أمامهم وكانت البداية عن طريق النهب والسلب والسرقة خاصة خلال فترة الحروب الصليبية التي شتوها على البلاد العربية، وهذا شأن المستشرقين الفرنسيين والإنجليز وغيرهم، أما الألمان فقد عُرف عنهم أنّهم جمعوا المخطوطات العربية عن طريق الإهداءات والشراء، وهكذا تسنى لهم أن يملؤوا خزائن مكباتهم بنفائس المخطوطات العربية ونوادرها، وفي هذا الصدد يقول عبدالمجيد دياب: "وهكذا استطاع الغرب أن يمتلك من تراثنا أكثر مما نملك...وأنتا ندين لهم بجمع ذلك التراث الغالي وصونه من الضياع، ولست أدري ماذا كان يصيبنا من خسارة فادحة لو لم تتجرّد هذه الحملة من رجال الاستشراق فتجنّب أقطار الشرق العربي والإسلامي باحثة عن كنوزه الثقافية المضيعة، وتساءلون ماذا لو تركوه لنا أما كتّا أهلا لجمعه وصونه؟ فأجيبيكم بملء يقيني: كلا، فقد شاء الله أن يلتفت أولئك الأجانب الغرباء إلى تراثنا الفكري أيام كنا في غفلة عنه، لا نكاد نحس بوجوده، أو نعرف قيمته... فمضوا يجمعونه في غفلتنا...ورحم الله أجدادنا وضعوا ثروتنا الفكرية والروحية في بيوت الله ودور العبادة، وهم يحسبون أنّها هناك بأمان من الضياع، ولم يدروا أنه

سوف يأتي حين من الدهر، يؤتمن فيها خدام دور العبادة على تلك الكنوز دون رقيب فيبيعونها بالكمول لتجار الترمس والفول واللب كي يغلقوا فيها بضائعهم، قبل أن تكثر الصحف والمجلات وتؤدي هذه المهمة²¹ ولا ندري كم المخطوطات التي ضيعها العرب أنفسهم بهذه الطريقة الشنيعة وكيف سمحوا لأنفسهم ببيعها بأبخس الأثمان لتكون أغلفة لبضائع التجار، فجمع المستشرقين لهذه المخطوطات ولو عن طريق النهب والسرقة أسهم في الحفاظ على وجودها وحماها من الضياع.

2-3 من حيث الفهرسة:

بعد جمع المخطوطات عني المستشرقون بصنع فهراس لهذه المخطوطات وترتيبها وتصنيفها في مجموعات حسب المجالات التي تعالجها، ليسهل البحث فيها والعودة إليها ومعرفة نسخها المتوفرة تمهيدا لمرحلة تحقيقها ونشرها، وقد ذكر عبد الهادي الفضلي بيانا أثبت فيه أسماء بعض فهراس المخطوطات العربية في البلدان غير العربية، لا يكفي المقام لحصرها وسنكتفي بذكر بعضها:

-المخطوطات العربية بمكتبة الأسكوريال، الجزان الأول والثاني من عمل ديرنبورغ، والجزء الثالث من عمل ليفي بروفنسال، باريس 1884-1903/1928م.

-فهرست المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين، ألفارت 1887-1899م في عشر مجلدات ضخمة كلفتها عشرين سنة من عمره.

-فهرس المخطوطات الشرقية بالمتحف البريطاني، القسم الثاني: المخطوطات العربية، كيرتون وريو، لندن 1846-1879م.

-فهرست المخطوطات العربية الإسلامية بمكتبة الفاتيكان: فاتيكان، بريري، بورجاني، روسي (سلسلة الدراسات والتخصص رقم 67) ليفي دلافيد، مدينة الفاتيكان 1935م.

-مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية: كيرل ديمتودي، يوسف عز الدين، بغداد 1968م.

-مجموعة المخطوطات الشرقية بالأكاديمية العلمية لأزبكستان السوفيتية، سمنوف طشقند، 1952-196م.

-فهرست المخطوطات الشرقية بالمكتبة الملكية: ريديل، ستوكهولم 1923م.

-فهرست المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية في باريس: دي سلان، 1883-1895م.

-فهرست الكتب العربية والفارسية والأردية المحفوظة بمكتبة أصفية (سركار عالي)، حيدرآباد 1332هـ-1338هـ.

-فهرست المخطوطات الشرقية في المجمع الهولندي بامستردام، رينهارت دوزي 1851م.

-فهرست مكتبة الجمعية الأمريكية الشرقية: إليزابيث ستراوت، نيوهافن 1930م.²²

3-3 من حيث تحقيقها ونشرها.

لم تقف جهود المستشرقين في حدود الجمع والفهرسة بل تجاوزوا ذلك إلى قراءة هذا التراث، والاستفادة من ذخائره لوعيمهم التام بقيمته العلمية وما يحمله بين دفتاه من علوم مختلفة والتي كانت أساس خروجهم من دياجير التخلف الذي كان سائدا في القرون الوسطى إلى رحاب التطور الفكري والعلمي والحضاري، ولهذا عكفوا على تحقيق بعض هذه المخطوطات وإخراجها إلى النور، وينبغي الإشارة هنا إلى أن فنون التراث لم تحظ بقدر متساو في النشر حسب رأي الطناحي، حيث "درات معظم التصوص التي نشروها حول التاريخ والبلدان والجغرافيا وكتب التراجم والطبقات والأدب ودواوين الشعر...مثل شعر هذيل والنقائض، ... ونصوص الفلسفة وعلم الكلام، والفروق والمذاهب الفكرية، وتراث العرب العلمي التطبيقي، مثل الطب والكيمياء والفلاحة، والحساب والجبر، والهندسة، والفلك والبصريات، وهناك فنون قل انتاجهم فيها، مثل النحو والصرف والبلاغة والعروض، والمذاهب الأربعة، وأصول الفقه...وأما تفاسير القرآن الكريم، ومتون الأحاديث وشروحها، فإن نشاطهم في تحقيق نصوصها لا يكاد يذكر"²³

ومن بين المصادر المنشورة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

-نشر وستنفلد معجم البلدان لياقوت، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وطبقات الحفاظ للذهبي، والاشتقاق لابن

دريد....

-نشر فرايتاغ ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي، وترجمه إلى اللاتينية.

-نشر روكرت مقامات الحريري ومعلقة عمرو بن كلثوم.

-نشر فبكه: براهين الجبر والمقابلة للخيام، والفخري في الجبر والمقابلة للكرخي.
-نشر فلوجل فهرست ابن النديم، عمل فيه خمس وعشرين عاما، وحقق كشف الظنون لحاجي خليفة وعمل فيه ثلاثة عشر عاما.

-نشر مولر صور الأقاليم للأصطخري.

-نشر لوبرت تاريخ الحكماء للقنطري.

-نشر يان شرح المفصل لابن يعيش.

-نشر مايرهوف شرح أسماء العقار لموسى بن ميمون، والعشر مقالات في العين المنسوب لحنين بن اسحق.

-نشر برجستراسر التيسير في القراءات السبع، والمقنع في رسم مصاحف أهل الأمصار، ومختصر الشواذ لابن خالويه، والمحتسب لابن جني، وطبقات القراء لابن الجزري، ومعاني القرآن للفراء، والإيضاح للأنباري.

-نشر بروكلمان عيون الأخبار لابن قتيبة²⁴

4- منهج المستشرقين في تحقيق التراث:

اعتمد المستشرقون في تحقيق التراث العربي على المنهج العلمي، وقد حرصوا على تأدية النص أداء صحيحا، كما تركه مؤلفه، وذكر فروق النسخ بشكل دقيق، مع مبالغة بعضهم في ذلك فترك الخطأ البين دون إصلاح، بحجة أن ذلك يمثل لغة المؤلف وعصره، كما اهتموا بصنع الفهارس التفصيلية للكتاب المحقق ك فهرس الكامل للمبرد الذي نشره المستشرق الإنجليزي لايل، وفهارس معجم البلدان لياقوت، الذي نشره المستشرق الألماني وستفولد...، ومما يحسب لهم أيضا بيان العلاقة بين الكتاب المحقق والكتب السابقة عليه في موضوعه والتي تعد كمصادر استقى منها المؤلف واستفاد منها، والكتب التي تلتها وتأثرت به، أو نقلت عنه، وهذا أمر له فائدة كبيرة في توثيق التصوص والشواهد، مع فطنتهم إلى المصادر الأصلية في التخريج كما فعل المستشرق الإنجليزي مكارتي الذي رجع في تخريج بعض شعر ديوان ذي الرمة إلى كتاب الشعر المخطوط لأبي علي الفارسي، ولا ينفي هذا حسب الطناحي وقوع بعض المستشرقين في أوهام غليظة فيما يتعلق بألفاظ العربية وتراكيبها ودلالاتها ومصطلحات العلوم وفنونها ودواوين الشعر الجاهلي، ويعود السبب لكونهم من لسان غير عربي فمهما اجتهدوا في تعلم العربية يبقى اللامام بجميع دقائقها وأسرارها ضرب من المستحيل ولهذا يبقى الفرق واضحا بين ما يكتبونه، وما يكتبه أهل اللسان العربي، وهناك أخطاء مقصودة من بعضهم خاصة فيما يتعلق بمساس الشريعة الإسلامية وما يحيكونه من دسائس تخدم أغراضهم التبشيرية، وتظهر حقدهم على الإسلام والمسلمين، ومن أمثلة ذلك ترجمة كازيمير سكي قوله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة 34]، باعبدوا آدم²⁵.

ويعد المستشرق الألماني برجستراسر (ت:1933م) أول من ألف في منهج تحقيق المخطوط مطبقا ذلك على التراث العربي ومراعيًا لخصوصية مخطوطاته، ووضع شروطا لذلك ذكرها في كتابه أصول نقد التصوص ونشر الكتب نجمها فيما يأتي:

- أن يكون عدد النسخ التي بُنيت عليها الطبعة كافيا بالنسبة إلى عدد النسخ المتوفرة.
- أن يصف المحقق النسخ التي استخدمها في نشر الكتاب وصفا يمكن القارئ من مراجعتها وتقدير قيمتها.
- أن لا يدع التآثر مجالا للشك فيما هو موجود في النسخة أو النسخ، وأن يقابلها بعناية تامة
- الامتناع عن تغيير النص واسقاط شيء منه إلا بعد أن يثبت القارئ إلى ذلك²⁶.

5- تقييم المحققين العرب لهذه الجهود:

تباينت آراء بعض أعلام التحقيق العرب فمنهم من بالغ في تمجيد أعمال المستشرقين إلى حد التطرف، وأشاد بجهودهم في ميل واضح لأعمالهم، ويمثل هذا الاتجاه صلاح الدين المنجد الذي بلغ به الأمر أن وصف الذين خالفوا المستشرقين وانتقدوهم بالجهل والعصبية، يقول في مقدمة كتابه قواعد تحقيق التصوص: "اهتم العرب في الربع القرن الماضي بنشر تراثهم القديم وتحقيقه، وكان المستشرقون قد سبقوا إلى نشر هذا التراث منذ أكثر من مائة عام، فنشروه متبعين منهجا علميا دقيقا مع ضعف فريق منهم باللغة العربية، أو اطلاع آخرين عليها، وشاء العرب أن يحذوا حذو المستشرقين في تحقيق التصوص، فنجح أناس أوتوا العلم والمنهج العلمي، وأخفق آخرون أعوزهم المنهج الذي

ينبغي اتباعه في النشر، وحاول هؤلاء ستر نقصهم هذا بالغض مما نشر المستشرقون واتخذوه هزواً، ثم زاد الاستخفاف بما نشر المستشرقون وبالمنهج الذي اتبعوه عن جهل بالمنهج العلمي وعصبية ضده، ورأينا كل ناشر يتهنئ في نشره منهاجاً ويزعم أنه ابتدع طريقة"²⁷

ويضيف قائلاً: ومن الانصاف أن نقرر أن المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا العربي منذ القرن الماضي وأنهم أول من تهنأ إلى كتبنا ونوادير مخطوطاتنا، وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصاً لولاها لم نعرفها... وكان على ناشري النصوص من العرب اتباع الطريقة العلمية التي يتبعها المستشرقون والاطلاع على قواعدهم واقتباسها، أو اقتباس الجيد منها، ولكن الذين فعلوا ذلك قلة"²⁸

وقد رد عليه عبد السلام هارون في مقدمة طبعته الثانية لكتابه تحقيق النصوص ونشرها قائلاً: "إن المستشرقين إخواننا وشركاؤنا لكن ليس من الحكمة ولا الكرامة في شيء أن تكون خطانا متأثرة بخطاهم في كل أمر من أمورنا الثقافية، وأن نستعير عقولهم في صغار الأذلاء، وقد منحنا الله القدرة وحسن الفهم والدرس لما كتب بلغتنا وبوحي نفوسنا العربية."²⁹

وإذا كان صلاح الدين المنجد قد بالغ في تمجيد أعمال المستشرقين فإن محمود محمد شاكر ذهب عكسه تماماً وبالغ هو الآخر في تقزيم أعمالهم والاستهانة بها حتى أنه قال: "لو كان عندنا صاحب مطبعة قد تعلم وشدا من العلوم شيئاً يسيراً، فأخذ نسخاً مخطوطة من كتاب، وقابل بعضها ببعض، لاستطاع أن يخرج لنا الكتاب على أتم صورة تطابق أصول المنهج العلمي وفصول علم التحقيق لا بل أزيد فإن صاحب المطبعة مستطيع أن يتفوق عليهم في إخراج الكتاب على صورة أدق وأصح وأتقن وأسلم من كل ما فعله المستشرقون بلا استثناء"³⁰

وقد اتخذ عبد المجيد دياب موقف المتدبر الفاحص الحذر فجاء موقفه معتدلاً يقول: "والاختلاف بيننا وبين المستشرقين أمر طبيعي كما قلنا؛ لأن كل منا ينهل من منهل ثقافي مغاير، وليس في هذا شيء من التعصب على الإطلاق، ولكن ليس هذا الذي أقوله أنني أبرئ جميع المستشرقين من آثار التعصب على الإطلاق، بل من التعصب الذي يعمي ويصم وأقول إنهم مثلنا بشر، يحاول كثير منا ومنهم أن يخلص للمنهج العلمي فيفلح كثيراً ويحقق أحياناً، كما يضل الهوى جماعات منهم ومثلاً أيضاً... وليس من صالحنا في شيء أن نهاجم دون أن ندرس بل أن نحسن الدرس لنحسن الفهم، فحسن التصور، فحسن الاستفادة عندما نريد الاستفادة، ويدب علينا ذاك ونحسن التقدير عندما نضطر إليه، فيقوم نقدنا على قواعد وطيدة تكسبه الصحة والبقاء"³¹.

ما يمكن قوله في الأخير إن التعصب هنا لا يعني عن الحقيقة العلمية في شيء؛ لأن الفاحص لأعمال المستشرقين الموضوعيين - دون المتعصبين منهم - يلاحظ وجود أعمال زهية أخلصت جهداً ووقتها لإخراج المخطوط أقرب من الصورة التي تركها صاحبه وراعت الأمانة العلمية، واتبعت المنهج العلمي، بل وتفوقت على بعض أشباه المحققين العرب الذين كانوا أقرب للتجارة منهم إلى التحقيق العلمي فجاءت طبعاتهم هزيلة مليئة بالأخطاء الناتجة عن التسرع، وهتهم في ذلك إخراج أكبر عدد ممكن من أجل الربح المادي لا غير، وإن سمح بعض العرب لأنفسهم بهذا الاستهتار فكيف نتوقع من متعصب ناظم على الإسلام أن يكون زهياً، ولهذا وجب على الباحث الحصيف أن يطلع على ما حققه العرب والغرب على حد سواء، وينظر إليه نظرة الناقد الفاحص الغيور على تراثه، فيذكر المحاسن، ويثبته على الأغلاط، ويقوم الاعوجاج، حتى لا تخلو الساحة لأشباه المحققين؛ لأنه لازال بعض هذا التراث حبيس الأدراج ينظر خروجه للنور.

خاتمة: لقد أوصلنا هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نوجزها في الآتي:

- اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الاستشراق وبدايته الفعلية ولم يستقروا على رأي ثابت في ذلك.
- أبرز دوافع الاستشراق في بدايتها لم تكن علمية بحتة بل كانت دينية واستعمارية واقتصادية، ولم تخلص للعلمية إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر.
- تعددت طرق حصول المستشرقين على المخطوطات العربية، وكان للنهب والسرقة النصيب الأكبر.
- اهتم المستشرقون بالتراث العربي وأسهم الزهاء منهم بشكل كبير في جمعه والحفاظ عليه و فهرسته وتحقيقه ونشره.

- جاءت تحقيقات بعض المستشرقين تنسّم بالجديّة والعلمية، ولم تخلُ أعمال بعضهم من الدسائس الناتجة عن تأثير ثقافتهم وتعصبهم وعدائهم للإسلام.
- تباينت نظرة العرب لجهود المستشرقين فمنهم من بالغ في تمجيد جهودهم، ومنهم أبخسهم حقّهم، ومنهم من اعتدل في تقييمهم.

قائمة الإحالات:

- 1- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ): مختار الصحاح، نج: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1999م، مادة (حقق)، ص 77.
- 2 - عبد الهادي الفضلي: تحقيق التراث، مكتبة العلم، جدّة، ط1، 1972، ص 31-32.
- 3- عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص 42.
- 4- عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1993م، ص 134.
- 5- أحمد محمد الخراط: محاضرات في تحقيق النصوص، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984م، ص 11-12.
- 6- أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008م، مادة (شرق) 2/ 1192-1193.
- 7- عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ص 176.
- 8- محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، دارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، دط، 2012، ص 12.
- 9- محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1984م، ص 206.
- 10- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق، المكتب الإسلامي، دط، ص 17-18.
- 11- عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ص 177.
- 12- محمد فاروق التبهان: الاستشراق، تعريفه مدارسه آثاره، ص 8-9.
- 13- ينظر: عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ص 177.
- 14- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 20-21.
- 15- المرجع نفسه، ص 22.
- 16- إسحاق بن عبد الله السعدي: دراسات في تميّز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2013، المجلد 1، ص 229.
- 17- عبد الرحمن بن عبد العزيز الجفن: الاستشراق النشأة والدوافع، ص 23.
- 18- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 23.
- 19- إسماعيل عبد الفتاح مصطفى: الاستشراق بين النشأة والأهداف، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، المجلد 8، العدد 8، 2016، ص 1170 وما بعدها.
- 20- ينظر: عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره ص 181.
- 21- ينظر المرجع نفسه، ص 192-193.
- 22- ينظر: عبد الهادي الفضلي: تحقيق التراث، ص 87 وما بعدها.
- 23- ينظر: محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص 217-218.
- 24- ينظر: صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 1978، ج 1/ ص 9-10.
- 25- ينظر محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص 225 إلى 228.
- 26- إيداد خالد الطباع: منهج تحقيق المخطوطات، ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، دمشق ط1، 2003م، ص 15.
- 27- صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط7، 1987، ص 7.
- 28- المرجع نفسه، ص 7-8.
- 29- عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص 8.
- 30- محمد زكريا عناني، سعيدة محمد رمضان: في مناهج البحث وتحقيق النصوص، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999 ص 170.

31- عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ص 184.

- قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد محمد الخراط: محاضرات في تحقيق النصوص، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008م.
- اسحاق بن عبد الله التتدي: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2013.
- إسماعيل عبد الفتاح مصطفى: الاستشراق بين الشأ والأهداف، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، المجلد 8، العدد 8، 2016
- إياد خالد الطباع: منهج تحقيق المخطوطات، ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، دمشق ط1، 2003م.
- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ): مختار الضحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1999م.
- صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط7، 1987.
- صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 1978م.
- عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م.
- عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1993م.
- عبد الهادي الفضلي: تحقيق التراث، مكتبة العلم، جة، ط1، 1972.
- محمد زكريا عناني، سعيدة محمد رمضان: في مناهج البحث وتحقيق النصوص، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999.
- محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، دارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، دط، 2012.
- محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1984م.
- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق، المكتب الإسلامي، دط، دت.